**محاضرة رقم -26- : العناصر المعمارية جزء 1**

**العمارة الإسلامية:**

إن العرب قبل الاسلام لم تكن لديهم سوى مفاهيم بسيطة عن فن البناء ، وأنهم لم يجلبوا للبلاد المفتوحة سوى البسيط من العناصر المعمارية ، وإن أغلب مفاهيهم كانت تعبر عن احتياجاتهم.

إلاّ أنه إجتمعت فيما بعد بعض الظروف والمؤثرات التي أثرت على العمارة والفنون الاسلامية الأُخر تمثلت بفتوحات الاسلام في بلاد متحضرة شرقاً وغرباً ، واتساع نطاق الامبراطورية الاسلامية ، والبواعث الدينية والنظم السياسية والاجتماعية والتشريعة التي أوجدها الاسلام ، وفنون الامم العربية التي استوطنت أطراف الجزيرة والتي جاورت الامم المتمدينة وتأثير هذه الفنون على فنون العرب قبل الاسلام , ثم ظهور الطرز المعمارية الأسلامية الأولى في سوريا وبغداد وسامراء , فضلاً عما تم نقله من أساليب معمارية الى الطرز الاسلامية اللاحقة.

أي بعد ان تم للعرب المسلمين الاستقرار في البلاد التي رفعوا فوقها رايتهم , بدأت عماراتهم تظهر للعيان هنا وهناك ، وأصبح لهذه العمائر شخصية معروفة وظاهرة , تختلف من حيث الاسلوب والطراز عن تلك التي وجدوها قائمة في البلاد التي تم لهم فتحها, إذ أصبحت القباب أكثر علواً وظهوراً , والأعمدة أكثر رشاقة , وأُدخلت أنواع مختلفة من العقود, فضلاً عن الأشكال القوسية التي تعلو النوافذ والابواب , كما أُدخلت عناصر معمارية أخرى كالمئذنة (المنارة)([[1]](#footnote-1)\*), والمحراب([[2]](#footnote-2)\*\*), وأُستخدمت الكتابات والاشكال الهندسية والنباتية لتكوين الزخارف والنقوش المعمارية والتي أصبحت ميزة تنعم بها العمارة الاسلامية أكثر من غيرها. لذا فأن أحد مظاهر الإبهار في العمارة الاسلامية هو تكاثر عناصرها وتعدد أشكالها في الأبنية الى حد يصعب معه الاهتداء الى عناصر يتماثل بعضها مع بعض تماثلاً كاملاً.

**من أبرز تلك العناصر المعمارية الاسلامية هي :**

1. **المئذنة :**

ربما كانت المآذن من أهم العناصر المعمارية الاسلامية التي تعطي للمسجد شخصيتهِ المتميزة ، ولم يكن للمساجد الاولى التي أنشئت في عهد النبي محمد ( صلى الله عليه وآله وسلم ) والخلفاء الراشدين مآذن. حيث كان النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يأمر بأن يؤذن للصلاة من أعلى سطح يجاور المسجد أو أن يدعو المؤذن إليها من سور المدينة , ثم وجدت المآذن في العصر الأُموي ، حيث أذن المسلمون للصلاة من ابراج المعبد الوثني القديم الذي أنشئ على أنقاضه المسجد الأُموي ,إذ كانت هذه الأبراج الأصل الذي بنيت على مثاله المآذن الأُولى في الاسلام , ثم تطورت وشاعت بعد ذلك.

وكانت المآذن في بداية الأمر على شكل أبراج مربعة , إذ إنتشر هذا الطراز في سائر البلاد الاسلامية ، ثم أخذ شكلها يتطور ويختلف من بلد لآخر فهي من مربعة الى مخروطية وملوية ومثمنة واسطوانية وغيرها . واختلفت المآذن أيضا باختلاف مادة البناء المستعملة في كل اقليم , ففي اسبانيا ومصر وبلاد الشام والجزيرة ، كان يستخدم الحجر ، وفي المغرب والعراق وايران وافغانستان كان يستخدم الطوب ، بينما في الهند أُستخدم الحجر والطوب على السواء.كما تطورت أساليب إنشاء وتحلية المآذن في العمائر الدينية بالزخارف الهندسية والنباتية والكتابات المتقنة والتي تعكس مدى اهتمام المسلمين بهذهِ العناصر المعمارية وعنايتهم بها.

1. **القبة :**

يرجح ان القباب الأولى نشأت في عمارة بلاد مابين النهرين ، كما عُرفت في المباني الرومانية والبيزنطية, أما في العمارة الاسلامية فقد كان لأستخدامها رؤية خاصة، فهي لم تكن حلاً بيئياً ومناخياً ووظيفياً فقط , بل مثّلت إلى جانب ذلك رمزاً روحانياً , يرمز الى السماء وخاصة في المناطق المسقوفة من المسجد , إذ تمثل صورة مصغرة لما يراه المسلم من اتساع الافق من حولهِ واستدارة السماء من فوقهِ.

وتعد قبة الصخرة التي شيدت في (72هـ) (691-692م) أقدم نموذج للقباب الاسلامية. ثم أستخدمت القباب بكثرة في العمارة الاسلامية, فلم تعد قاصرة على المساجد, بل امتدت الى الاضرحة والمشاهد وبعض الأبنية المدنية كمداخل الاسوار واماكن الاستراحة وفي تغطية الابراج الدفاعية.

كما تعددت أشكال القباب في العمارة الاسلامية ، كالقبة ذات الشكل الكروي , والبيضوي , والبصلي , والهرمي , والمضلع, وتنوعت أساليب تشكيلها وزخرفتها, بحيث تم الخروج بها عن مجرد وظيفتها الأصلية كإسلوب للتسقيف وتحولت الى عنصر جمالي خاص يتميز عن باقي عناصر العمارة الاسلامية بفضل أشكالها المتعددة وعناصرها الزخرفية المتنوعة مما جعلها تبلغ درجة من الرقي ميّزتها عن غيرها من القباب في الحضارات الأُخر.

1. **الأعمدة :**

لم يكن للمسلمين طراز خاص من الأعمدة في أول الأمر ، وكانوا يستخدمون الأعمدة المنتزعة من المباني الرومانية والبيزنطية القديمة . وبعد هذا الدور بدأ يظهر العمود الاسلامي الذي أخذ بالتدريج شكلاً يُميّزه عن الأعمدة في الطرز الأُخر, وكان أول هذهِ الأشكال أعمدة إسطوانية البدن ذات تيجان ناقوسية أو رمانية.

ثم تنوعت أشكال الأعمدة الإسلامية من حيث البدن مابين الدائري والمثمن والمستطيل والنصف الدائري , والتي ألصقت بالجدران للتدعيم حينا وللزخرفة حينا , وخاصة عند استخدامها على جانبي الأبواب والمداخل وأركان المحراب ، كما تنوعت الأعمدة أيضا من حيث التيجان ، حيث عرف المسلمون انواعاً مختلفة , كالأعمدة ذات التيجان البصلية , والناقوسية , والمزخرفة بصف من الزخارف النباتية والهندسية , أما قاعدة العمود المشهور في العمارة الاسلامية فكانت على هيئة ناقوس مقلوب الوضع.

وبذلك فقد تحولت الأعمدة الاسلامية من مجرد دعامات السقوف إلى تحف فنية بذاتها لما تحويه من عناصر زخرفية ذات اشكال متنوعة أعطتها طابعاً مميزاً .

1. (\*) المئذنة (المنارة) : إسمان للمكان الذي يتم من خلاله الاعلام بدخول وقت الصلاة , وقد إستُخدم الاسمان في المشرق الاسلامي , اما في بلاد المغرب فيطلق عليها لفظ ( الصوامع ). [↑](#footnote-ref-1)
2. (\*\*) المحراب : هو الحنية أو التجويف المعمول في جدار القبلة لتعيين اتجاهها. [↑](#footnote-ref-2)